# تأثير مسألة القرصنة والأسرى في العلاقات الجزائرية الأوروبية من القرن 16م إلى القرن19م

# The impact of the issue of piracy and captives in the Algerian-European relations from the 16h century to the 19th century

تاريخ الاستلام:2023/01/18 تاريخ القبول: 2023/05/07 تاريخ النشر: 2023/06/18

عياشي بلقاسم *

جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة (الجزائر)

Email : b.aiachi@univ-skikda.dz

**الملخص:**

*يعالج هذا المقال مسألة في غاية الأهمية لها ارتباط وثيق بالتاريخ السياسي للجزائر خلال الفترة العثمانية، ونخص بالذكر العلاقات السياسية بين الجزائر والدول الأوروبية المسيحية خلال هذه الفترة المدروسة، وقد ركزنا في هذه الدراسة على عينة من الدول وهي فرنسا ، إنجلترا ، اسبانيا باعتبارها هي وحدها التي أثرت في الأوضاع الداخلية والخارجية لإيالة الجزائر اقتصاديا وسياسيا.*

*نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز مميزات العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال القرن16م إلى غاية القرن 19م،وقد خلصنا إلى جمل من النتائج تمثلت بالأساس في أن علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية كانت تتأرجح بين السلم و الحرب،لجوء الدول الأوروبية لأسلوب المعاهدات كحل دبلوماسي من أجل تهدئة الأوضاع، توظيف الدول الأوروبية لمسألة القرصنة والأسرى الأوروبيين للضغط على الجزائر وتجسد هذا من خلال المؤتمرات الدولية.*

**الكلمات المفتاحية:***العلاقات الجزائرية ؛ الدول الأوروبية؛ الفترة العثمانية؛القرصنة؛الأسرى*

***Abstract:***

*This article deals with a very important issue that is closely related to the political history of Alegria during the ottoman period ,and we mention the political relations between Alegria and European Christian countries during this studied period ,we focused in this study on a sample of countries ,namely France,England, and Spain as they are the only ones that influenced In the internal and external of regency Algiers economically and politically Through this study, we aim to highlight the advantages of the Algerian-European relations during the 16century until the 19century,and we have concluded from the results that Algeria's relations with European countries oscillated between peace and war, and European countries resorting to the method of treaties as a diplomatic ,In order to calm conditions ,European countries employ the issue of piracy and European prisoners to put pressure on Algeria ,and this is reflected through international conferences.*

***keywords*** :Algerian relations ;European countries ; *ottoman period ; piracy ; captives*

* المؤلف المرسل: عياشي بلقاسم



مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العدد 01 –السنة 2023 ص ص 843-868

EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

**المقدمة:**

لا يزال موضوع علاقات الجزائر الخارجية خلال الفترة الحديثة ( 1519-1830) يكتنفه الغموض في كثير من جوانبه، وهذا راجع إلى تعذر الدراسات العلمية والموضوعية التي تفي بالغرض،ولعدم توفر الوثائق والمصادر التي ترشد الباحثين أو المهتمين بهذه الجوانب من تاريخ الجزائر.

سنسلط الضوء في هذه الدراسة على جانب مهم من علاقات الجزائر الخارجية، ويتعلق الأمر بالعلاقات الجزائرية الأوروبية، والتي تعد من أبرز القضايا السياسية التي تخص تاريخ الجزائر الحديث،هذه القضية هي الأخرى تفرعت عنها عدة مسائل نالت اهتمام العديد من الكتابات التاريخية وكان لها تأثير في هذه العلاقات ويتعلق الأمر بقضية القرصنة و استرقاق الأسرى .

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة الموسومة ب:" **تأثير مسألة القرصنة والأسرى في العلاقات الجزائرية الأوروبية من القرن16م إلى القرن19م"**، لتعالج مسألة مهمة ترتبط بالتاريخ السياسي للجزائر خلال الفترة العثمانية .

وتتمحور إشكالية هذه الدراسة حول تحديد طبيعة هذه العلاقات وأهم القضايا المتحكمة فيها ، هذه الإشكالية تفرعت عنها جملة من التساؤلات التي تطرحها هذه الدراسة وهي:مدى تأثير مسألة القرصنة واسترقاق الأسرى في تحديد مسار هذه العلاقات، هل العلاقات بين الجزائر والدول المسيحية الأوروبية كانت تسير في اتجاه واحد أم أنها تختلف من دولة لأخرى؟ ماهي النتائج المترتبة عن هذه العلاقات خلال هذه الفترة المدروسة؟.

ولهذا رأيت من المفيد أن أسلط الضوء في هذه الدراسة على قضية مهمة متعلقة بتوظيف المصطلحات لدى الباحثين، وهذا ما ينطبق على مصطلح القرصنة الذي أخذ طابعا خاصا في الجزائر خلال الفترة العثمانية،كما نسعي من خلال هذا البحث معالجة جوانب من العلاقات الجزائرية الأوروبية، وسنركز فيها على تحديد طبيعة هذه العلاقات مع إبراز نشأة العلاقات عموما والعلاقات الدبلوماسية بصفة خاصة، والمعاهدات المعقودة بين رؤساء الدول الأوروبية والجزائر،

مع بيان تواريخ عقد تلك المعاهدات المصادقة عليها ، مع التركيز على تلك العلاقات بإيجابياتها وسلبياتها ، وسنخص في هذا الباب علاقة الايالة بثلاث دول هي فرنسا ، إنجلترا ، اسبانيا باعتبارها هي وحدها التي أثرت في الأوضاع الداخلية والخارجية للولاية اقتصاديا وسياسيا ، و تأثرت هي مع تفاوت بينها بوضع الولاية في البحر المتوسط على الصعيدين السياسي و الاقتصادي ، مع إشارة طفيفة لعلاقة الولاية مع بعض الدول المسيحية الأخرى .

وقبل الخوض في حيثيات هذا الموضوع ،أردت أن أوضّح بأن هذا المقال لا يمثل دراسة مستفيضة لهذا الموضوع ،وإنما يمثل حلقة من حلقات هذا البحث المتشعب ،لذلك بداية افتح قوسا يخص مسألة إشكالية المصطلح قرصنة أم جهاد بحري.

**2- مقاربات ومفاهيم:**

**1.2 إشكالية المصطلح: قرصنة ،أم جهاد بحري ؟:**

يتفق المؤرخون على أهمية الوعي بقضية المصطلحات، وهذا ماينطبق على القرصنة والجهاد البحري والأسرى ،من خلال تعدد وتنوع المدلول اللغوي والاصطلاحي .

**- مفهوم القرصنة :**

القرصن(**CORSA**) كلمة إيطالية تعني السباق، ومنها اشتقت كلمة قرصان(**CORSARO** ) و هو الذي يقوم بفعل التسابق، و قد استعملت هذه الكلمة – لأول مرة- بمعنى السباق أو التسابق البحري، أي الهجوم و الاعتداء على سفن أو سواحل الدول الأخرى في القرن الرابع عشر (ع.جبار،**1990**،**ص 99**) ،كما أن لفظ قرصنة لفظ أعجمي لايوجد له ذكر في القواميس والمعاجم العربية القديمة ،ولاشك أن العرب خاصة سكان المغرب العربي أخذوه من الكلمة الإيطالية (**CORSA**) (ن.عمراني،**2013**،**ص 135**) .

لم تدخل كلمتا قرصنة و قرصان اللغة الفرنسية إلا في القرن السادس عشر، حيث كانت الكلمة المستعملة قبل هذه الفترة هي (**ATTAQUE** ) التي تعني الهجوم ،و يرى البعض أن القرصنة هي اللصوصية و النهب على مياه البحار بعيدا عن سلطان الدولة (ع.جبار،**1990**،**ص101**) ،و هو

تعريف لا يعبر بدقة عن معنى القرصنة، ذلك أن القرصنة لا تعني اللصوصية و النهب في كل الحالات، كما أنها لا تقع دائما بعيدا عن يد سلطان الدولة، ويرى البعض الآخر إنها تشكيل من مساعدي البحرية النظامية يعملون بأمر من الدولة، تصدره بواسطة خطاب مكتوب يسمى( **Lettre de Marque**) و بهذا فهم يؤدون مهمتهم باسم الدولة، و هذا ما يفرق بينهم و بين اللصوص الذين يقومون بعملياتهم خارج هذا الإطار .

و هناك تعريف ثاني لهذا المصطلح يقصد به تلك الحملات التي تشنها دولة ضد السفن التجارية لدولة أخرى تكون بينهما عداوة أو حرب لاعتراض تجارتها أو إعاقة تطورها الاقتصادي و لإضعاف قدرتها القتالية ، أما الاستيلاء على السفن بما فيها فلم يكن مقصودا في حد ذاته(ع.جبار،**1990**،ص**101**).

و تجدر الإشارة إلى أن هناك فرق بين القرصنة و اللصوصية، فهذه الأخيرة هي نوع من النشاط البحري تقوم به مجموعة من اللصوص لحسابهم الخاص، لا يفرقون بين سفن الصديق أو العدو، فغرضهم في المقام الأول هو الحصول على الغنيمة بغض النظر عن كون الضحية من المسلمين أو من المسيحيين، وهذا النوع من النشاط الذي لا يميز بين الضحايا كان ينفرد به اللصوص الأوروبيون، إلى جانب ذلك نجد أن هذا النشاط هو بعيد عن سلطة الدولة.

وذهب برونو إلى أن الجهاد البحري مرادفا لعملية القرصنة ( **L.Brunot ,1920,p27**)، أما برشفيك لا يميز بين المصطلحين ،إذ غالبا ما يوردهما للدلالة على شيء واحد هو اعتراض السفن المارة بمنطقة (ر.**برشفيك**،**1988**ص**227**.).

كما أن مصطلح قرصنة ورد مرادفا لكلمة لصوص البحر أو لصوصية البحر(**piraterie** )وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية (**pyra**) وتعني الغش والخداع ، وهي تدل على البحارة الذين يقومون بعملية اعتراض السفن ونهبها دون ترخيص من دولهم أو حكومتهم (ط.**قادوري**،**2020**ص **135**.).

وبالتالي ما كان مرخصا من طرف الدولة فهو يدخل في إطار القرصنة وتكون بذلك حربا مشروعة موجهة ضد عدوا ما، أما إذا كانت العملية لا تحمل ترخيصا فهي تدخل في إطار اللصوصية.

و في المقابل يوجد نشاط آخر يسمى حق الملاحقة أو الانتقام و هو حق يمنحه السلطان لرعياه القادرين على استرداد أملاكهم المحفوظة، أو ما يعادلها أو على الأقل ما تبقى منها بالقوة من اللصوص أو القراصنة الذين اعتدوا عليهم، فاستعمال القوة في هذه الحال يكون بغرض استرداد الحق، وبالتالي فهذه العمليات لا تعد قرصنة أو لصوصية.

وعلى هذا الأساس لا توجد أية علاقة إطلاقا بين الجهاد البحري من جهة و القرصنة و اللصوصية من جهة أخرى ، فالجهاد عمل يكون هدفه الأساسي الدفاع عن الإسلام و السعي على نشره، أما القرصنة و اللصوصية فأهدافها بعيدة كل البعد عن هدف الجهاد البحري(ع.جبار، **1990ص101** .).

**2.2 الأسرى (captifs)** :كلمة مفردها أسير ومأخودة من الأسر،-أي-الشد بالقدّ،-أي بالحبل-وسمي كل مأخوذ مقيد أسيرا وإن لم يكن مشدودا بذلك (ع.**بن المناوي،1990،ص50**)، والأسير كما جاء في القاموس المحيط هو الأخيذ والمقيد المسجون(م.**الفيروز أبادي،1999،ص06**.) ،وفي نفس المعنى يقول ابن منظور:الأسير هو كل محبوس في قيد أو سجن هو أسير (أ.**ابن منظور،1999،ص ص140-141**.).

ويعّرف الماوردي:في كتابه الأحكام السلطانية الأسرى فيقول :"هم المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء..." ( أ.**الماوردي،2006،ص207**.).

وتعود جذور مصطلح أسير إلى اللغة اللاتينية ( **capere** ) بمعنى يأخذ (ب.**قرباش،2016،ص50**.) ،ويشير الباحث لمنور مروش في سياق حديثه عن الأسرى ،أن هذا المصطلح له علاقة بمسألة الرق، حيث يقول بأن مصطلح رقيق« **Esclave** » هو مطابق لمعنى الأسرى المسيحيين،( ***M.MEROUCHE,2002,P 211*** )، وقد أخذ طابع خاص في الجزائر العثمانية.

هذا كل ماله علاقة بتحديد المدلولات وفق أصولها ومفاهيمها ،حيث أن هذان المصطلحان كانا ومزالا عرضة للبحث والدراسة، وقد أخدا أبعاد واسعة في الدراسات التاريخية .

**3. تجادبات العلاقات الجزائرية الأوروبية من خلال مسألة القرصنة والأسرى:**

**3. 1 مسألة القرصنة:**

لقد وظّفت الأدبيات الغربية في سياق كتاباتها التاريخية حول الجزائر ودول المغرب العربي ،استخدام بعض المصطلحات التي تحمل الكثير من الزيف و التضليل و التحامل، إلى درجة أن كلمة القرصنة التي أطلقتها على البحرية و البحارة المغاربة في هذا العصر و بالخصوص البحارة الجزائريين، أصبحت مرادفة في المفهوم العام الشائع لكلمة اللصوصية(ج. **قنان، 1987،ص249** )، و هو إدّعاء مغرض بعيد عن الحقيقة و الواقع، لأن أول من مارس أعمال القرصنة(ع.جبار،**1990،ص ص99-101**) و توسع في تطبيقها بكل وحشية و شراسة هم الأوروبيون أنفسهم أعقاب الحروب الصليبية و بداية التراجع الإسلامي بالأندلس، و ذلك بدافع الحقد الديني و الرغبة في الغنم البحري المادي، و الدليل على ذلك هو مباركة الحكومات الأوروبية لأعمال قراصنتها، وتقديم الحماية و العون المادي لهم كما فعلت إنجلترا، و فرنسا، و النمسا، و الإمارات الإيطالية ،بل و حتى بعض دول شمال أوروبا مثل الدانمارك (**ي.بوعزيز، 1999،ص55** ).

و بالتالي ليست القرصنة شيئا جديدا في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي، فمنذ قرون سابقة على القرن الخامس عشر، كان المسيحيون يلجأون إليها ( **ص. عباد ،2005،ص20**).

فالحروب الصليبية خير مثال على ذلك ،فقد أقامت حالة حرب شاملة في البحر المتوسط لفترة طويلة بين القوتين الإسلامية و المسيحية أفرزت مناخا مساعدا على تطور القرصنة، بحيث أصبح ينظر إليها على أنها احدى صيغ الحرب الاقتصادية على الحدود، ومن ثم فلم يكن غريبا أن يعترف القانون السائد وقتها عمليا بشرعية ممارستها على نطاق واسع ،حتى أصبحت في بعض الأحيان بديلا للحرب نفسها،غير أن توقف الحروب الصليبية لم يؤد إلى توقف القرصنة، و إنما ازداد نشاطها و اتسع نطاقها بشكل أكثر من ذي قبل خصوصا في العصر الحديث ،حيث تطور أسلوب المجابهة الدعائية ضد المسلمين لتحتل صفة القرصنة و اللصوصية البحرية مكانة الصدارة في هذه المواجهة.( ع .جبار ،**1990،ص104**).

لقد حظيت الجزائر بحصة الأسد في هذا التنديد و التشيع إلى أن أصبحت توصف بكونها " وكرا للصوصية البحرية و القرصنة".( ج.قنان،**1987**،ص**250**).

في حين ذهب العديد من الباحثين إلى أن هذا النشاط لم يقتصر على الجزائر فقط، و إنما مارسته دول أوروبية عديدة حيث يقول إدوار كاط( CAT) في هذا الباب :" لم يقوموا وحدهم بالقرصنة بل هناك الإنجليز و الهولنديون و أناس من مختلف الأمم كانوا يمارسون القرصنة ببشاعة و عنف". **( E .Cat ,1888 ,p291).**

إلى جانب هذا إذا كانت الجزائر قد مارست كأية دولة بحرية في الشرق و في الغرب القرصنة بمفهومها الشرعي و القانوني الذي حددته قوانين البحار التي كانت جارية و الأعراف السائدة في هذا العهد ،فإنه لم يحدث منذ قيام الدولة الجزائرية الحديثة أن مارست هذه البلاد لصوصية بحرية أو أقرتها في أي نقطة أو مكان من أراضيها (ج. قنان،**1987**،ص**250**).

ومهما يكن فهناك شهادات لمؤرخين أوروبيين تبين مدى الغطرسة و الشدة التي وصلت إليها القرصنة الأوروبية،من بين هذه الشهادات فقرتين اثنتين قصيرتين لمؤرخين فرنسيين أحدهما كاط (**CAT**) الذي سبق ذكره والذي كتب في هذا السياق :" لقد كان الهولنديون و الإنكليز ، وأناس من جميع الدول، أكثر شراهة ووحشية في قرصنتهم من الجزائريين، بحيث أصبح البحر الأبيض المتوسط بؤرة لقطاع البحر".**(E .Cat 1888, ,p292) .**

و الآخر هو شارل أندري جوليان **(Charles André Julien )** الذي كتب:" إذا كانت حياة الأسرى الأوروبيين المستعملين في تجديد السفن تثير أكبر شفقة، فقد كانوا أسعد حظا بكثير من الأسرى البربر يسكيين( من بلدان المغرب) الذين كانوا مستعملين في تجديف سفن ملك فرنسا و الذين كانوا يسامون بالحديد المحمي و يمنعون من ممارسة شعائر دينهم. (**1931, pp 163.164**, **ch-A,julien** .)

و يصف مولود قاسم في هذا الباب أن القرصنة في فرنسا لم تكن حكرا على عهد الملكية وحدها ،فحتى الثورة الفرنسية كانت لها قرصنتها المسلحة، كما يدل على ذلك مرسوم من حكومتها

التنفيذية ضد دول الجزائر ، وتونس، وطرابلس بتاريخ 15 فيفري 1799 يذكر فيه بالنص الواضح " ضرورة تسليح القراصنة الفرنسيين".(م. نايت بلقاسم ،**1985**، ص **75**).

فعمل البحرية الجزائرية كان مقاومة ضد عدوان ، وجهاد ضد إرادة التنصر و التمسيح، و ليس قرصنة كما ادّعى وزعم الأوروبيون، وحتى مع التسليم بأنه قرصنة في بعض الحالات و الفترات، فإن الأوروبيين هم الذين سبقوا إليه و مارسوه كحركة للغنم و السلب و النهب، وهم الذين أرغموا الجزائريين على عمل المثل في إطار رد الفعل.

( ي.بوعزيز،**1999**، ص **56**).

و عليه يمكن القول أن ما كانت تقوم به الجزائر في عرض البحر الأبيض المتوسط، إنما هو دفاع عن النفس، فهي مسؤولية ملقاة على عاتق الجزائر بحكم موقعها ، وكونها عرضة و هدفا لغارات متتالية لذلك تحولت الجزائر من موقع الدفاع إلى الهجوم .

**2.3 مسألة الأسرى:**

لقد أثارت هذه القضية جدالا محتدما ، وعولجت من طرف الأوروبيين والمسلمين على السواء كل من وجهة نظره ، خاصة خلال القرن التاسع عشر، و ثمة معلومات متوفرة حول الأسرى الأوروبيين بالجزائر خلال الفترة العثمانية ، ذلك أن مؤلفات كثيرة بعضها كتب من طرف أسرى سابقين في الجزائر (أ .عميراوي ،**2005**، ص،ص **27-37**) تعطي صورة دقيقة لحالتهم- بعضا منها كتبت بموضوعية و بقدر من التجرد يثير الإعجاب، و البعض الأخر كتبت بحقد و تحامل، و هي تعد مصدرا من مصادر تاريخ الجزائر، لما تحتويه من مادة خبرية عالية القيمة، ومن جهة أخرى عرفت الجزائر شخصيات بارزة كانوا بمثابة أسرى ( أسرتهم السفن) الجزائرية ، فاعتنقوا الإسلام وأصبحوا أتراكا بالمهنة كما يسميهم هايدو ، و قد اشتهروا في المعارك التي كان يخوضها الجيش العثماني ضد أوروبا، وقد اشتهر من رياس الطائفة الذين اعتنقوا الإسلام-البيلرياي العلج علي-و على بشين و حسن كورصو و غيرهم .

و من الملاحظ أن شروط حياة الأسرى بالجزائر إذا ما قورنت بوضعية الأسرى المسلمين بالبلاد الأوروبية كانت حسنة بل ممتازة حسب سعيدوني، بالاستناد إلى شهادة بعض الكتاب

الأوروبيين أمثال لوجي دوتاسي ( **Laugier de tassy**) الذي انتقد أقاويل و دعايات رجال الدين المسحيين المغرضة لحمل الدول الأوروبية على محاربة الجزائر و احتلالها.(**ن.سعيدوني، م.البوعبدلي،1984، ص 105**).

هذا و كان الأسرى المسيحيون التابعون للبايلك، أو الدين يمتلكهم الخواص (**ج .قنان ج،1987، ص 253**)يكلفون بأعمال مختلفة مثل العمل في ورشات بناء السفن و مقالع الحجارة و مصانع الأسلحة و غيرها، ومنهم من يشتغل في الباستين أو يقومون بالخدمة في المنازل و المقاهي، و يتقاضون مقابل ذلك علاوات شهرية و هدايا متنوعة في المواسم و الأعياد، و لا يحد من حريتهم سوى قضاء الليل في سجون البايلك المخصصة لهذا الغرض. ( **ن.سعيدوني، م.البوعبدلي،1984، ص 105**).

و بالتالي هذا ما يفند مزاعم الأدبيات الأوروبية في تعامل المسلمون مع الأسرى الأوروبيون، كما أن ممارسة استرقاق الأسرى ليست وقفا على المسلمين و إنما الأوروبيون هم السابقين لهذا العمل.

إذ تشير الروايات إلى أن الإسبان عند احتلالهم لوهران عام **1509** م قتلوا حوالي أربعة آلاف من سكان المدينة و أسروا حوالي 8 آلاف آخرين تحت إشراف الكاردينال خمينيس (**ص .عباد،2005، ص 30**).

و من جهة أخرى استغل التوسكان ( في وسط إيطاليا حاليا) توتر العلاقات الفرنسية-الجزائرية و شنوا حملة على مدينة عنابة ، حيث نهبوا المدينة و أسروا الفا و خمسمائة شخص و قتلوا باي قسنطينة مُحَمَّد بن فرحات.( **ع.الجيلالي،1980، ص119** ).

و هذا لا يعني بأن الجزائر لم تمارس استرقاق الأسرى، ولكن هذه الممارسة كانت في إطارها القانوني، إذ تشير بعض التقديرات إلى أن رياس البحر الجزائريين استولوا في الفترة الواقعة بين **1613-** إلى **1621** م على **936** قطعة بحرية كان على مثن هذه القطع البحرية عدد كبير من الأفراد سيقوا إلى سوق العبيد.( **ص .عباد،2005،،ص 114**).

و من جهة أخرى يضيف مولاي بلحميسي أن الفترة ما بين **1630** و **1634** استولى رياس البحر على **80** سفينة فرنسية كان على متنها 1331 شخصا، أصبحوا من الأسرى أو العبيد ، و في سنة **1681** م استـــولى هؤلاء الرياس على حوالي **30** سفينة على متنها ثلاثمائة رجل ( **p,p M Belhmissi،1983،54–55**).

و نظرا لأهمية هذه القضية كانت الدول الأوروبية تلجأ إلى الحلول الدبلوماسية لمعالجة هذه المسألة مع الطرف الجزائري، و كانت تستغل في بعض الأحيان الظروف الدولية التي تمر بها الجزائر خصوصا خلال القرن الثامن عشر أين عرفت الجزائر ضعفا في أسطولها الحربي و تراجعا في نشاطها البحري .

و لعل من بين المؤتمرات الدولية التي عالجت هذه المسألة، مؤتمر فينا 1815الذي تمّ التوقيع في إحدى معاهداته في 9 جوان 1815م بتحريم الاسترقاق في الجزائر بالخصوص وفي بقيّة الأقطار المغاربية الأخرى تونس و طرابلس.( م .زروال،**1994**، **ص61**).

و في الحقيقة فإن سلبية أهداف هذا المؤتمر بالنسبة إلى الجزائر كانت سياسية واقتصاديه، فتحرير العبيد المسيحيين يعرقل تطور البلاد فيهدم اقتصادها و بذلك تتمكن الدول الأوروبية من فرض سيطرتها الاقتصادية والعسكرية على الجزائر . (م.زروال،**1994**، **ص61**).

و بالفعل منذ سنة **1816** بدأت الجزائر تتراجع عن استمرار في هذه العملية، حيث قامت في عهد الداي عمر بإبرام معاهدة مع إنجلترا تضمنت إطلاق سراح الأيونيين والنابوليين. السردينيين مقابل فدية مالية، و تلمس بصفة فعلية منذ حملة (اكسموت) أوت **1816**،و التي بموجبها تخلت الجزائر عن استرقاق المسحيين (م.زروال،**1994**، **ص 65**)

**4. علاقات الجزائر مع الدول المسيحية :**

اتسمت العلاقات السياسية بين ولاية الجزائر والدول المسيحية وخاصة منذ القرن السابع عشر بالتوتر شبه الدائم وبعدم الثقة بين الجانبين وكان لقضايا القرصنة والأسرى و التجارة والأوضاع السياسية في أوروبا ، وكذا الوجود الإسباني في قاعدتي " وهران" و "المرسى الكبير" أثر بالغ الأهمية في تحديد صبغة العلاقات بين الولاية من جهة ، والدول المسيحية من جهة أخرى

، وقد كانت الولاية تستمد أهميتها الدولية أساسا من قوتها البحرية التي جسدها أسطولها الحربي ، وقد بدأت الولاية تلعب دورها الدولي باسم الباب العالي في عهد مبكر واستطاعت أن تحفظ التوازن في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي ، و أن تبطل خطط التوسع الاسباني ، لا في إفريقيا فحسب وإنما في أوروبا نفسها ، ونبحث هنا بإيجاز علاقة الولاية بالدول المسيحية التي كانت لها علاقة قوية مع الولاية كل دولة حسب أهميتها:

**1.4 علاقة الإيالة مع فرنسا :**

ارتبطت الجزائر وفرنسا منذ بداية العصر الحديث بالميدان التجاري ، وقد سيطر هذا العامل على العلاقات بين البلدين فترة من الزمن، فسار بها نحو إتباع سياسة مرنة وذلك حفاظا على استمرارية التعاون بين الطرفين .

وعليه فالعلاقة بين الجزائر وفرنسا علاقة قديمة نسبيا قبل الحكم التركي، وقد كانت علاقة تجارية بحتة ، و بعد أن دخل الأتراك الجزائر ، وأقاموا حكومتهم بها ، تطورت العلاقات مع فرنسا فأصبحت تجارية ، سياسية ،حربية وكانت على مدى القرون الثلاثة التي حكم فيها الأتراك الجزائر تتأرجح بين السلم والحرب حسب ميزان القوى في البحر المتوسط وحسب مصالح كلا الطرفين.

وتعود العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى القرن السادس عشر أي في عصر البايلربايات، وهذا كنتيجة للعلاقات الطيبة التي كانت بين الخلافة العثمانية وفرنسا ،وهذا بسبب عداء الأتراك والجزائريين التقليدي للإسبان هذا من جهة، وتنافس فرنسا التقليدي حول مشاكل القارة ووراثة العرش، زيادة على تكرار اعتداءات شرلكان الإسباني على الشواطئ الفرنسية (**ص .فركوس،2002، ص 83**).

لقد استطاعت فرنسا أن تستغل في عصر – البايلريات– الصداقة التي تربطها بالدولة العثمانية ، ففي عام **1561** حصلت من الباب العالي على إذن لصيد المرجان في سواحل عنابة (الشرق الجزائري ) ، كما حصلت منذ عام **1578** على حق صيد المرجان في خليج الشتورة (

سطورة) وهذا الامتياز لا يشكل في حد ذاته عنصرا جديدا في العلاقات الجزائرية الأوروبية، إذ نجد أن أمير بجاية والسلطان الحفصي أبي عبد الله منحا للجنويين امتياز اصطياد المرجان على السواحل الشرقية الجزائرية (ج.قنان،**1987**، **ص 42**)، وأن المرسيليين قد حصلوا على هذا الامتياز من شيوخ منطقة عنابة مقابل عوائد يدفعونها (م .**الزبيري** ،**1972**، **ص 193**)،كما حصلت فرنسا على حق تعيين قنصل لها في مدينة الجزائر عام **1578** (ع .**غطاس** ،**1985**، **ص 10**)،وقد كان كلا الامتيازين ضمن الأسباب التي أدت إلى توتر العلاقات بين الولاية وفرنسا في أواخر عصر البايلربايات، ذلك لأن شركة لنش التي تولت إدارة امتياز صيد المرجان لم تقتصر على صيد المرجان ، وإنما تعدته على تصدير الحبوب ، وإلى بناء حصن في شرق مدينة عنابة أطلقت عليه اسم " حصن فرنسا" غير آبهة بنصوص الاتفاقية (**ص .فركوس،2002، ص 132**).

أما تعيين قنصل فرنسا في الجزائر فقد قوبل بمعارضة شديدة في البداية من قبل حكومة الولاية، تبين ذلك من الرسالة التي أوردها جمال قنان لحسين باشا على حكام مدينة مرسيليا يقول فيها : " فنحن ليست لنا أية وسيلة ، فالمسألة تثير امتعاضا في نفوس التجار والشعب وكل الناس ،فهم لا يريدون قبول السلطة الجديدة التي تريدون فرضها عليهم "(ج .قنان، **1994**، **ص 45**).

وعلى الرغم من تضارب المؤرخين في تاريخ تنصيب أول قنصل في الجزائر، فإن أول تمثيل دبلوماسي كان عام 1578 بمقتضى فرمان ( قرار) أصدره الباب العالي يقضي بتعيين قنصل لفرنسا بالجزائر، حيث نزل القنصل الفرنسي موريس سورون **( Souron)** واستقبله الداي جعفر باشا (**1580–1582**) بالعاصمة ، واستمر هذا التمثيل قائما إلى غاية حادثة المروحة عام **1827** م باستثناء الفترات التي توترت فيها العلاقات بين البلدين (**ص .فركوس،2002، ص 132**).

ولم تمض سنوات حتى نشبت خلافات عديدة بين الجزائر وفرنسا أدت إلى قطيعة دامت قرابة ربع قرن، حيث تصدعت العلاقات بين البلدين بسب تدمير مركز المؤسسات الفرنسية أو الحصن من طرف الحكومة الجزائرية في جوان **1604** م ، فقد ذهب جل المؤرخين الغربيين على أن الدافع الأساسي في ذلك هو تذرع الجزائريين بمجاعة أصابت البلاد . (**h. Heinrich ,1898 ,188**)

غير أن جوهر الأزمة يعود إلى سبب واضح وهو عدم احترام الشركة الفرنسية للاتفاقيات التي تنص على أن يقتصر نشاطها على صيد المرجان ، لكن الشركة لم تعر أدنى احترام لها ، فتجاوز نشاطها صيد المرجان إلى شراء الحبوب بأسعار زهيدة لتصدره إلى مرسيليا جانية في ذلك أرباحا طائلة ، متجاهلة أوضاع البلاد العصيبة ،لذلك عزمت الحكومة الجزائرية على وضع حد لهذه المبالغات، وأوعزت إلى الحامية المتواجدة بمدينة عنابة تخريب الحصن وبحجز موظفيه ،ومنه فإن هذا العمل سواء على المستوى الرسمي مجسدا في الباشا والديوان أو على المستوى المحلي ( الشعبي) فهو رد فعل طبيعي من وجهة نظر الباحثة ضد أقلية أجنبية بالغت في استغلالها الخيرات البلاد ولم تحترم النصوص والاتفاقيات(ع .**غطاس ،1985، ص 37**).

ومهما يكن ، فإن المنازعات بين فرنسا والولاية لم تتوقف تقريبا طوال القرن السابع عشر ، خصوصا بعد وصول لويس الرابع عشر إلى الحكم في فرنسا ، فبمجرد توطيد مركزه أصبحت سياسته اتجاه إيالة الجزائر تهدف إلى محاولة القضاء عليها ، وتحطيمها عن طريق الحملات البحرية و التدخل المسلح و أصبحت الحرب ميزة العلاقات الجزائرية الفرنسية.( ع .**غطاس ،1985، ص 65**).

ومن أهم تلك الحملات حملة عام **1682** م التي حاصرت شرشال لمدة وأمطرت المدينة بوابل من القذائف التي تركت خرابا كبيرا بالمدينة ،وكاد والي المدينة أن يستسلم، لكن الجزائريين ثاروا عليه وقتلوه واضطروا قائد الحملة " دوكيس" **"Duquesne** " إلى رفع الحصار والعودة من حيث أتى ، وقد أعاد لويس الرابع عشر الكرة عام **1688** م فوجه الأميرال " دستريس" **« Destrees »** على رأس حملة كبيرة قذفت مدينة الجزائر بأكثر من عشرة آلاف قنبلة ،ولكن الجزائريين استماتوا في الدفاع وقبضوا على القنصل والجالية الفرنسية وقتلوهم جميعا وأرغموا الفرنسيين على الدخول في مفاوضات طويلة انتهت بتوقيع صلح طويل المدى يوم 25 سيتمبر عام **1689** م.(**ص .فركوس،2002، ص-ص 139- 140**).

وقد استمر هذا الصلح قرابة مائة سنة ( **1690-1790**) حيث تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال المائة سنة هذه بالاستقرار و التعايش السلمي، وإذا حدث أن طرأت بعض الحوادث من

جهة أو من أخرى، فإن هذه لم تؤد في أي وقت من الأوقات إلى القطيعة.( ج .قنان، **1987**، ص **141**)

ولكن مع وصول نابليون إلى الحكم بدأت الأمور تتغير تدرجيا ، رغم انتهاج نابليون لسياسة المهادنة مع الجزائر في حملته على مصر عام **1798** م وحرصه على استمرار العلاقات الطيبة معها، حيث أن النزعة الاستعمارية جعلت منه يبيت مخططا عسكريا لاحتلال الجزائر، فقد جهز حملة كبيرة عام **1805** م إلى الجزائر بقيادة أخيه جيروم لحمل الداي على إطلاق سراح الأسرى الإيطاليين أو إعلان الحرب على الجزائر، فأطلق الداي سراح **230** أسير، وسرعان ما عاد الجزائريون إلى مهاجمة السفن والرعايا الفرنسيين فجدد بونابرت تهديده للجزائر ، وقد زاد اهتمام نابليون بالجزائر بعد تدخله في إسبانيا وتنصيب أخيه جوزيف ملكا عليها ،و صار يحلم بإنشاء قاعدة بحرية على الساحل الجزائري يوازن بها قواعد الإنجليز في جبل طارق ومالطة. (ص.**فركوس،2002، ص 140**).

ويدخل هذا في إطار النزعة الاستعمارية لنابليون والتي تجسدت من خلال جملة من المشاريع والمخططات لاحتلال الجزائر منها مشروع بوتان،حيث يمثل مشروع فانسون ايف بوتان( **Vincent Yves Boutin**) الحجر الأساس للحملة الفرنسية على الجزائر، فالمطّلع على عنوانه يوحي بأن بوتان تلقى أمرا رسميا من السلطات الفرنسية، فجاء مشروعه حاملا لعنوان الاستعمار(بنور،**2008، ص 401**).

في سنة **1808**م اتجهت أنظار نابليون للجزائر، فقام الدوق دوكري بإرسال الضابط بوتان وهذا بتكليف من نابليون نفسه ،وذلك من أجل دراسة الأوضاع العامة لمدينة الجزائر والتركيز على نقاط القوة والضعف لهذه المدينة(**Rosset ,1879 ,p37**)،ورغم الصعوبات والإنذارات المتكررة من الداي على التجاوزات التي قام بها، واصل بوتان مهمته الاستطلاعية(**, Rosset ,1879** ) ،حيث انتقل إلى سيدي فرج، وتأكد أن هذا الموقع الاستراتيجي هو المكان المفضل لنزول الجيش الفرنسي **(nettement ,1867,p557)**.

وقد قدر بوتان تعداد القوة التي يجب إرسالها لنجاح الحملة وقد حصرها مابين **35** ألف و**40** ألف رجل ،مشيرا في الوقت نفسه بعد احتلال الجزائر يجب وضع قوة لاتقل عن **10** آلاف رجل لحراستها **( Julien ,1964,p60 )**

كما قام بوتان بصياغة تقرير مفصل عن كل صغيرة وكبيرة تخص مدينة الجزائر، بما في ذلك الجيش الجزائري،حيث تطرق إلى مميزات الجيش الجزائري على أنه يعتمد إستراتيجية حربية بسيطة هي الكر والفر،والخبرة في التكتيك الحربي وكذا فن التعامل مع السلاح ،كما أن تعداده جد معتبر، فهو يتكون حسبه من :فرقاطات ذات تسليح،وسفن من نوع شباك مزودة بمدافع وزوارق حربية وغليوطات، بالإضافة إلى بعض المراكب الصغيرة المسلحة (**Boutin,1830,p-p 210-212**)

وقد مكث بوتان في الجزائر من24 ماي إلى **17** يوليو عام **1808** م،وجمع العديد من المعلومات،ووضع الكثير من اللوحات العسكرية، وفي الطريق عودته أسرته سفينة بريطانية وذهبت به إلى مالطة،ثم أفلت واتجه إلى أزمير بالقسطنطينية وبعدها ذهب إلى باريس،حيث أعاد كتابة تقريره،وأرفقه بأطلس جغرافي من حوالي 15 لوحة وخريطة.(**بوعزيز،2009،ص 229**.)

وقد أولت الحكومة الفرنسية أولوية كبيرة لهذا المشروع ،حيث قررمجلس الوزراء الفرنسي المنعقدفي **19** ديسمبر**1829** م تنفيد خطة بوتان ،وهذا ما عبّرعنه القائد العام في أعمال هذا المجلس قائلا:"**20** يوما كانت كافية لهدم وجود هذه الدولة التي أتعبت أوروبا منذ ثلاثة قرون **(157-89 ,pp 1950, Berjaud ) .**

وقد تأجل تجسيد هذا المشروع لدى نابليون نظرا للظروف التي ألمت بفرنسا بصفة عامة، ونابليون بصف خاصة، هذا الأخير الذي انتهت امبراطوريته في معركة واترلو **1815**م أين تنازل عن العرش ونفي وتوفي في منفاه.

وبعد تنازل نابليون عن العرش ، استؤنفت العلاقات بين الولاية وفرنسا وتبادلت الرسائل الودية ( ج. **قنان ،1987، ص، ص 204-228**) .

ومنذ أن تولى الداي حسين مقاليد الحكم ( **1818–1830**) أخذ يطالب فرنسا بتسديد الديون التي عليها للجزائر ، وهي الديون التي اشتهرت باسم ديون( بكري) و ( بوشناق) وقد أدت مطالبة الداي من جهة وسكوت فرنسا من جهة أخرى بالإضافة إلى غطرسة القنصل الفرنسي ( دوفال) إلى قصة المروحة المشهورة التي اتخذتها فرنسا حجة لتنفيذ مشروعها في احتلال الجزائر ، هذا كل ما ميز العلاقة بين الولاية ( الجزائر) وفرنسا طيلة ثلاثة قرون والتي كان يغلب عليها طابع السلم في أغلب فتراتها.

**2.4 علاقات الإيالة مع أنجلترا :**

لم يكن لإنجلترا أي اتصال مباشر بالجزائر في القرون الوسطى، إذ لا نجد لها أثر في هذه الفترة مابين الشعوب الأوروبية التي كانت تربطها بالجزائر علاقات تجارية نشيطة، و يبدو أن إنجلترا لم تكن تهتم حتى في القرن السادس عشر بما كان يجري في البحر المتوسط من أحداث، و إنما اتجهت بأنظارها إلى الهند، بيد أن هذا لا يعني أنها لم تقتحم ميدان التجارة في البحر المتوسط في القرن السادس عشر.

بدأت علاقات الجزائر مع إنجلترا سلمية، إيجابية ، قوامها الود و التعاون، ولئن تخللتها عدة غارات من طرف إنجلترا إلا أنها في الغالب، كان يسودها الوئام طوال قرون. ( **م.نايت بلقاسم،1985، ص 181**)

و ما يؤكد هذه العلاقة ما ذهب إليه دوغرامون (**De Grammont**) حيث قال: " كان الإنجليز في بداية القرن السادس عشر يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر، إذ يصدرون إليها السلاح و البارود... " (**H. De Grammont,1887, P.P 136** )

و يضيف " و مقابل هذه الإمدادات العسكرية و البحرية التي كان الإنجليز يبيعونها للجزائر لدى الاحتياج ، كانت هذه ترخص لهم شراء الحبوب، و الزيوت و الأصواف، و الشموع، و الجلود، ومواد أخرى لديها لتصديرها إلى إنجلترا، وتعفيهم من رسوم التصدير ( و تسمى إذ ذاك ، حسب ما وردت في النص: التذكرة) التي كانت تفرض على الأمم الأوروبية الأخرى و التي كانت باهضة"

(**H. De Grammont,1887, P.P 136 –137** )و هكذا إذن بدأت العلاقات مع إنجلترا سلمية ودية.

إلا أن تطور جو القرصنة الأوروبية في ذلك العصر، الذي اندمجت فيه أمريكا أيضا فيما بعد، و الغارات الصليبية التي قد بدأت من البلدان الكاثوليكية ( إسبانيا- فرنسا-إيطاليا – مالطا- البابوية)- كما سبق ثم انضمت إليها فيما بعد البروتستانتية ( إنجلترا- هولندا- الدانمارك- أمريكا...) كل ذلك، دفع بإنجلترا إلى أن تدخل هذا الغمار، فقامت بعدة غارات على الجزائر تتجاوز العشر، باءت كلها بالفشل الذريع و عادت على إنجلترا بالخسارة الباهضة، و التعويضات المرهقة التي كان عليها دفعها للجزائر،( **م .نايت بلقاسم ،1985، ص 183**) ماعدا واحدة سيأتي ذكرها.

و من أمثلة الحملات و الغارات التي قامت بها إنجلترا ضد ولاية الجزائر ما قامت به سنة **1620**م و تعد حملتهم الأولى على مدينة الجزائر ، يقودها نائب أميرال إنجلترا "روبيرما نسيل" رفقة **500** جندي ( **ج-ب-وولف، 1986، ص ص 254-255**)

كما عرفت الجزائر في عهد مُحَمَّد باشا حملة إنجليزية أخرى على مدينة الجزائر سنة **1654**م، وانتهت بإطلاق سراح الأسرى الإنجليز مقابل فدية.( **ص.عباد،2005، ص 127**)

إلى جانب هذا تحدث الباحث جمال قنان عن زوبعة بحرية تعرضت لها الجزائر تحطمت بموجبها الكثير من سفنها، و قد تزامن هذا مع قصف إنجليزي لمدينة الجزائر، في هذه الظروف أبرمت الجزائر معاهدة مع الأميرال سيرجون في 23 أفريل **1662**م،وتقيم هذه المعاهدة السلم بين الجزائر و انجلترا من جديدو تضمن التجارة و توقف أعمال القرصنة و تحرر العبيد الإنجليز مع دفع المبلغ الذي تمّ بيعهم به لأول مرة في السوق، كما تمنع استرقاق الإنجليز مستقبلا. (**ج.قنان ،1987، ص،ص 91،96**)

و قد تحدث صاحب التحفة المرضية في هذا الإطار عن حملات إنجليزية استهدفت مدينة الجزائر و بجاية، حيث حاول أسطولهم أن يهجم على الجزائر سنة **1669** م(**1079**هـ) فتصدت له مدفعية الأتراك وردته على أعقابه، و في سنة **1671** م ( **1082**هـ) فاجأ هذا الأسطول ميناء بجاية

و أضرم النار في اثني عشر مركبا كانت راسية هناك ، وفي نفس السنة أعاد الكرة على ميناء الجزائر و أحرق ثلاثة مراكب فيها (م .بن ميمون الجزائري،**1972**، ص ص **17–18**)

كما أبرمت إنجلترا معاهدة مع الجزائر عام **1703** م، حيث بعثت الملكة آن (**Anne**) القائد البحري بينك **(Binc)** بهدايا ثمينة إلى داي الجزائر من أجل إبرام معاهدة خاصة تضمن لها تحسن العلاقات التجارية بين إنجلترا و بين الجزائر، مثل تحسينها مع فرنسا و الجزائر–آنداك فوافق الديوان على هذا الطلب.( م.بن ميمون الجزائري،**1972**، ص **27– 28**)

و يذكر الباحث يحي بوعزيز أن مجموع ما أبرمته إنجلترا من اتفاقات و معاهدات مع الجزائر بلغ **27** معاهدة.( ي.بوعزيز،**1999**، ص **55**)

و عليه حسب مولود قاسم أن طابع العلاقات بين البلدين كان بتأرجح بين الحرب و السلم ولكن الطابع الودي كان يغلب عليها خاصة طوال النصف الثاني تقريبا من القرن الثامن عشر و العشرية الأولى من القرن التاسع عشر و كان وديا للغاية (م.نايت بلقاسم ،**1985**، ص **185**)،إلى أن جاءت المؤامرة الكبرى حيث تحولت انجلترا فجأة بعد سقوط امبراطورية نابليون إلى دولة معادية للولاية، إذ تزعمت في مؤتمر فنيا عام **1815**م الحملة المعادية للولاية فيما يتصل بالقرصنة و استرقاق الأسرى المسيحين (م.زروال،**1994**، ص–ص **59–61**)،وشرعت في توجيه الحملات البحرية إلى الجزائر، فظهر الأسطول الإنجليزي و كان الهجوم بقيادة اللود ايكسموت في وحدات من الأسطول الإنكليزي و أعانته القوات الهولندية، ووصل الجميع إلى العاصمة في **27** أوت **1816** م ورفعوا الراية البيضاء خداعا، و قبل هذا تحاشى الداي عمر باشا ( **1815–1817م**) الدخول في الحرب مع الإنجليز فأبرم معهم معاهدة تعهد فيها بإطلاق سراح الأسرى الأيونيين و النابوليين و السردينيين مقابل فدية مالية، و على أن يتم إطلاق سراح الجزائريين المعتقلين كذلك ، لكن الحكومة البريطانية لم تبتهج لهذه الاتفاقيات فأمرت قائدها موث بالعودة مرة ثانية إلى الجزائر، حيث وصلها في التاريخ السابق الذكر على رأس أسطول هام قوامه 42 سفينة حربية. (م .زروال،**1994**، ص **63**)

في هذه الأثناء أرسل الإنجليز إلى الداي بإطلاق أسراهم، وهذا بعد أن كان الداي قد ألقى بالقنصل الإنجليزي في السجن، كما طالبوه بوضع حد لاسترقاق المسحيين ،و أساؤوا خطابه فأجابهم بالرفض و أن لاجواب عنده إلا بالضرب بالقنابل ،و أخد الأسطول يضرب المدينة ،

ولكن هيجان البحر حال دون الغاية، فابتعد الأسطول من الميناء ريثما هدأت العاصفة، ثم عاد إليها ورفع الراية البيضاء، ثم أخذ بقذف المدينة فقتل نحو **500** من سكانها . (ر. بونار،**2000**، ص **381**)

كما فقدت الجزائر في هذه المعركة أربع بوارج حربية و خمس سفن ذات حجم متوسط و **23** زورقا حربيا و بعض المراكب التجارية .(ع .حليمي ،**1972**، ص **285** )

أماخسائر العدو فقد ارتفعت إلى حوالي **863** بين قتيل و جريح، ولقد أظهر الجزائريون استماتة قوية و هذا ما عبّر عنه ايكسموث نفسه قائلا:" لم أرى في حياتي أعداء يحاربون بإيمان وثبات و جأش كهؤلاء" (م.زروال،**1994**، ص **67**)،وهذا رغم القوة التي استخدمتها انجلترا بمشاركة هولندا على مدينة الجزائر حسب ما هو موجود في هذا الجدول .

**جدول رقم 1:يمثل أسماء السفن الانجليزية والهولندية التي شاركت في الحملة على مدينة الجزائر عام 1816م**

| الأسطول الإنجليزي | | | الأسطول الهولندي | | |
|---|---|---|---|---|---|
| إسم المركب | | عدد مدافعه | إسم المركب | | عدد مدافعه |
| الملكة شارلوت | Charlotte | 100 | لوملمبيس | Le Malanpus | 40 |
| لانبورونابل | L'imprenable | 98 | لافريديريكا | La Fridirica | 44 |
| لوسيبارب | Le Superbe | 74 | لودكراد | Le Dragaraa | 36 |
| لومندن | Lemenden | 74 | لاديان | La Diane | 40 |
| لالبيون | L'albin | 74 | لامستال | L'Amstel | 44 |
| لولياندر | Le Leandre | 50 | لاندراخت | L'Andracht | 24 |
| لوسوفرن | Le Severn | 40 | | | |
| لوكلاسكون | Le glascon | 40 | | | |
| لوكرتنيك | Le Cranique | 36 | | | |
| لوهبر | Le Hebre | 36 | | | |

**المرجع:محمّد زروال، 1994،ص69**

و إلى جانب هذه السفن الحربية دعمت إنكلترا أسطولها بالقطع الآتية:

- **5** بوارج حربية.
- **4** قاذفات للقنابل .

– **14** قاربا حربيا للنجدة (م .**الزبيري** ،**1973**، **ص 126**)

أما عن النتائج السياسية لهذه المعركة فقد أمضيت معاهدة بين الطرفين في **31** أوت **1816** م تعهدت فيها الجزائر بما يلي:

1- التخلي عن استرقاق المسحيين.

2- تحرير كافة الأرقاء المسحيين وقد بلغ عددهم **1200** أسير .

تقدم الجزائر تعويضات مالية لكل الهيآت التي تضررت (م .**زروال** ،**1994**، **ص 65**) ،وقد قدرت هذه التعويضات بنصف مليون فرنك تقريبا، غير أنه تظل الولاية حرة في ممارسة القرصنة ، إذ لم يتعرض لها في هذه المعاهدة و هذا ما ذهب إليه رابح بونار بأنهم لم ينصوا على وضع حد للقرصنة كما تقتضيه اتفاقية فيينا الدين جاءوا كمدافعين عنها ( ر. **بونار**،**2000**، **ص 381**) وهذا الهجوم الإنكليزي كان عامل إضعاف شديد لأسطول الجزائر(ن.**سعيدوني**، **2000**،،**ص 193**) .

وبعد أن تولى خوجة الخيل حسين منصب الداي (**1818–1830م**) بعام واحد، وبالضبط في سبتمبر **1819** م على وجه التحديد ، جاء أسطول أنجليزي– فرنسي بقيادة الأميراليين ( جيريان– وفريمانت) ليبلغن الداي قرارات مؤتمر( إيكس لا شابيل) (م .**نايت بلقاسم** ،**1985**، **ص 210**)، ولكن الداي حسين رفض الموافقة على القرارات ، مؤكدا حقه في مطاردة كل سفينة تنتمي لدولة لم يعترف بها، أما بالنسبة لقضية الرق فقد قال بأن ممارسته غير محرمة دينيا، وانهى الاجتماع دون اتخاد أية قرار.

وفي أواخر عام **1823** م وقع حادث زاد من توتر العلاقات بين البلدين، حيث تشاجر الداي حسين مع قنصل بريطانيا ماكدونيل **(MACDONEL)** و حسب تفاصيل القصة الآتية فإن ذلك يعزى لما يأتي:

" عندما نشبت ثورة أكتوبر **1823** م قرر الباشا أن يلقي القبض على المتمردين الذين احتموا بمقر القنصل البريطاني، وقد رفض هذا أن يسلمهم إلى حكومتهم بدعوى الحصانة القنصلية، عندئذ أمر الباشا باقتحام مركز الممثل البريطاني وقد انتهى الأمر أخيرا إلى قطع العلاقات بين البلدين ، ولم تضيع الحكومة البريطانية هذه الفرصة الغالية عليها، فقامت بحملة عسكرية بحرية على الجزائر قوامها ثلاث و عشرون باخرة كبيرة عهدت بقيادتها هذه المرة إلى سير هنري نيل **(SIR HENRY WEEL)** وقد طلب نيل تعويضا عن إهانة القنصل فرفض الداي هذه المطالب،

فانصرف الأميرال، ثم عاد في **22** مارس **1824** م وانصرف بدون طائل، وعاد مرة ثالثة في **12** جويلية من نفس العام بعد أن صدرت الأوامر بضرب العاصمة، وعرف الجزائريون نيته فخرجوا إليه وتبادلوا إطلاق النار إلى **29** جويلية ثم انصرف الإنجليز بدون جدوى، إذ لم يحقق هذا الهجوم أي نتيجة إلا أنه أوضح للجزائريين نقاط الضعف في دفاعهم و سمح لهم بتقوية هذا الدفاع (م .زروال ،**1994**،،ص- ص ، **76 -77**)

و بفشل هذه السلسلة من الحملات الإنجليزية على الجزائر تفتح صفحات جديدة من الحملات البحرية الأخرى، ولكن الذي سيقوم بهذه الحملات هذه المرة هي فرنسا التي سيكتب لها في المستقبل أن تجد لنفسها مكانا تحت الشمس.

ومهما قيل أن بريطانيا عارضت الاحتلال الفرنسي للجزائر، فسواء كان ذلك ودا وصداقة منها نحو الجزائر أم غيرة من الفرنسيون، فهي تسجل كنقطة إيجابية حسب مولود قاسم (م .نايت بلقاسم ،**1985**، ص **214**)، يختتم بها تاريخ العلاقات الجزائرية البريطانية خلال القرن التاسع عشر.

وعلى كل فإن طابع العلاقات بين البلدين بات يتأرجح بين السلم والحرب غير أن طابع السلم هو الغالب في أغلب الفترات، و هذا جانب من العلاقات الجزائرية الإنجليزية فكيف هو واقع العلاقات بين الإيالة وإسبانيا؟.

### 3.4 علاقة الإيالة مع إسبانيـا:

لقد كان للتفكك السياسي للمغرب الأوسط ( الجزائر) عاملا مشجعا للإسبان للإغارة عليه، ففي سنتي (**1509- 1510** م) قبيل دخول الأتراك الجزائر، احتلوا كلا من المرسى الكبير ومدينة وهران وتنس وبجاية ودلس، وشرشال، ومستغانم، ومدينة الجزائر،وقد اعترفت إمارة زيان لهم بهذا الاحتلال عام **1512** م، ولم يفسد خططهم سوى تدخل الأتراك السريع، وبروز نيابة الجزائر كقوة جديدة ذات شأن في الحوض الغربي للمتوسط.( ي .بوعزيز،**1999**، ص **44**)

ومن هنا فقد كان طابع العلاقات بين إسبانيا والجزائر طيلة القرون الثلاثة المتوالية هي الحرب الفعلية المتواصلة، ولم توقع بينهما إلا معاهدتان اثنتان طوال تلك المدة، أي طيلة القرون الثلاثة بينما عقدت الجزائر مع هولندا مثلا أثناء تلك المدة إحدى عشرة معاهدة، ومع انجلترا

ثمانية عشرة، ومع فرنسا أكثر من ستين بل و أكثر من ستة وستين ولنقل سبعين. ( م.نايت بلقاسم ،1985، ص 126)

وحتى نضع العلاقات الجزائرية الإسبانية في إطارها الحقيقي فإنه يتوجب علينا الإشارة إلى هذه الحملات الإسبانية، فهي تعكس الجهد الذي بذله الإسبان في مواجهة الجزائر، وتبرز التحدي الذي واجهته الجزائر والخسائر التي ألحقت بها من جراء تلك الهجمات.(ن .سعيدوني ،1993، ص 73)

في عهد شارلكان (CHARLES QUINT) شهدت الجزائر أكبر حملة منذ القرن، وكان هذا في 25 اكتوبر 1541 م، فقد كانت تشتمل على ست مائة سفينة شراعية تحمل ثلاثة عشرة ألف بحري (13000)، وأربعة وعشرين ألف جندي (24000) مختارين من بين أحسن جنود اسبانيا وإيطاليا وألمانيا وفرسان مالطا. (م.نايت بلقاسم ،1985، ص 140)

وقد كان مصيرها الفشل الذريع مثل باقي الحملات السابقة ،ولقد شوهد شارلكان لأول مرة في تاريخه يبكي على الخسائر التي حلت بجيشه و أسطوله.

وقد ظل دايات الجزائر يسعون باستمرار ، و بدون هوادة إلى استرجاع وهران والمرسى الكبير وبقية المدن المحتلة ، وهذا بعد محاولات كل من حسان باشا عام 1563 م ومُحَمَّد قوصه ( 1606 م) والباي إبراهيم ( 1687 م) لإنقاذ وهران والمرسى الكبير وتحريرهما من نير الاستعمار الإسباني.( ي .بوعزيز،1999، ص 51)

وقد كان لهم ذلك من خلال استرجاع وهران للمرة الأولى يوم 16 أفريل 1708 م والمرسى الكبير في آخر العام بقيادة باي الغرب مصطفى بوشلاغم ،وفي عهد الداي مُحَمَّد بكداش الذي سهر كل السهر على تحقيق ذلك الهدف.

ولقد ظل الإسبان وخاصة منهم الملك فيليب الخامس ورجال الكنيسة ، متحسرين على ضياع وهران من أيديهم ، ويعملون على استعادتها ، وعادوا فعلا بعد ثلاث وعشرين سنة، ففي أواخر يونيو 1732 م جهز الملك الإسباني فيليب الخامس ( حفيد لويس الرابع عشر الفرنسي) أسطولا ضخما أغاربه على وهران في الفاتح من يوليو ( جويلية) وعلى المرسى الكبير في اليوم الموالي ،و كان ذلك في عهد الباي مصطفى بوشلاغم، ولكن الداي لم يعد مُحَمَّد بكداش بل مُحَمَّد كور عبدي الذي حزن حزنا شديدا، حيث أثر فيه هذا الضياع المفاجئ و كان الوقع عليه من الشدة و الحزن، بحيث داهمه المرض، فاعتكف في بيته، ولم يطل به الأمر حتى مات يوم 23 أوت 1732 م. (م.نايت بلقاسم ،1985،، ص 152)

و قد ظل الأمر على حاله لمدة **60** عاما أخرى، وهذا بعد أن عرفت الجزائر عثمان باشا( **1766- 1790**) الذي انتهج سياسة حازمة مع الدول الأوروبية و على رأسها انكلترا و فرنسا، وحتى يكون لهذه السياسة التي انتهجها مُحَمَّد عثمان باشا تأثير على علاقات الجزائر بالدول الأوروبية، فإن البحرية الجزائرية أبدت استماتة قوية للتصدي لسفن الدول المعادية أو التي لم تكن ترتبط مع الجزائر بمعاهدات سلام و صداقة، وقد تمكنت السفن الجزائرية بقيادة رياس البحر مشهورين أمثال الحاج سليمان و بن يونس و بن زرمان و حميدو من الحصول على غنائم وفيرة و أسر عدد كبير من الأوروبيين قدر عددهم بحوالي ثمانية عشر ألف أسير منهم ما لا يقل عن عشرة آلاف من الإسبانيين. (**ن.سعيدوني، 1993**، ص **72**)

و هذا ما أدى إلى حدوث اصطدامات بحرية مع اسبانيا التي جردت ضد الجزائر ثلاث حملات متتالية **1184** هـ، **1775** م- 1197 هـ ، **1783** م – **1198** هـ ، **1784** م. (**ن .سعيدوني ،1993**، ص**73**)

كل هذه الحملات البحرية التي قامت بها لم تسفر على تحقيق مكاسب ملموسة، من إطلاق الأسرى المسحيين ،و الحصول على امتيازات تجارية ،و إقرار أمن الملاحة بالحوض الغربي للمتوسط، و ذلك لتفطن الجزائريين لخططها، وهذا ما دفع الحكام الإسبان إلى الاقتناع بعدم الفائدة من الاستمرار في هذه السياسة المعتمدة على القوة العسكرية.

لذلك لجأت للحل الدبلوماسي من خلال التوقيع على معاهدة مع الجزائر عام **1791** م تضمنت تسعة بنود (فصول) على شاكلة المعاهدات التي ارتبطت بها الجزائر مع كل من انجلترا و فرنسا، في **12** ديسمبر **1791** م، وثم إبرامها نهائيا في **09** ديسمبر **1791** م من طرف داي الجزائر حسان باشا و القائم بالأعمال و ممثل قنصلية ملك اسبانيا بالجزائر الدون مكاييل دولاريا ،و دخلت حيز التنفيذ الفعلي برفع الحصار الجزائري عن الحامية الإسبانية بوهران في أول محرم **1206** هـ الموافق لـ **1** سبتمبر **1971** م و الانسحاب النهائي من وهران في 3 رجب **1206** هـ الموافق لـ **24** فيفري **1792** م . (**ن.سعيدوني ،1993، ص،ص 73-74** )

و عليه فإن طابع العلاقات الجزائرية الإسبانية كان يتصف في أغلب فتراته بالتوتر و العداء ولكن بدرجة أقل مع إنجلترا وفرنسا، أما عن طبيعة العلاقة بين الولاية و بقية الدول المسيحية الأخرى ، هولندا، السويد ، الدنمارك ، البندقية فإنهم لا يأبهون كثيرا بصداقة أو عداوة الولاية، و

إنما اكتفوا بعقد معاهدات سلام مع الجزائر نظير دفع إتاوة سنوية للولاية إلى جانب تمثيل قنصلي في الجزائر.

نفس الشيء بالنسبة لعلاقة الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث عقدت الولاية في العقد الأخير من القرن الثامن عشر عدة معاهدات سلم وصداقة منها معاهدة **1791** م مع الولايات المتحدة مقابل دفع هذه الأخيرة إتاوة سنوية تتمثل في ذخائر حربية و إتاوات بحرية ،كما تم عقد معاهدة يوم 5سبتمبر **1795** م وأخرى في **3** يوليو**1815** م إلى جانب ذلك معاهدة رابعة في **23** ديسمبر **1816** م.(**م.نايت بلقاسم،1985،ص 228–240**) .

**الخاتمة:**

و في الأخير نستطيع القول رغم أن علاقات الجزائر بدول أوربا كانت تتسم بطابع الحروب بسبب كل ما ذكرناه آنفا، إلا أن ذلك لم يمنع من نمو هذه العلاقات و تطورها و تحسنها في بعض الأحيان و الأزمنة ، و مع بعض الجهات خاصة بلدان شمال أوربا و إنجلترا و فرنسا ، وهولندا، والدويلات الإيطالية و إسبانيا و البرتغال و الولايات المتحدة الأمريكية.

و قد خلصنا من خلال دراستنا لهذه العلاقات إلى مايلي:

- أن علاقات الجزائر مع الدول المسيحية و بالخصوص الأوروبية منها تتأرجح بين السلم و الحرب وإن كان طابع الحروب هو الغالب، و لم تمنع هذه السمة من نمو علاقات دبلوماسية مع فرنسا و انجلترا و هولندا و غيرها من الدول.
- وضوح العلاقات بعد الاستقلالية التي أخذتها الجزائر عن الدولة العثمانية مند **1671** م ،حيث جعلت الكثير من الدول الأوروبية و الدول العظمى آنذاك تبرم الكثير من المعاهدات و الاتفاقيات مع الجزائر وهذا اعترافا منها بالجزائر ككيان سياسي له مقومات السيادة.
- توظيف الدول الأوروبية لمسألة القرصنة والأسرى الأوروبيين للضغط على الجزائر من أجل تقديم العديد من التنازلات ،وتجسد هذا من خلال المؤتمرات الدولية .

## الإحالات والمراجع:


1- ابن منظور،أ،1999، **لسان العرب**، ط3، **ج1**، بيروت ،دار إحياء التراث العربي .
2- الجيلالي ، ع ،1980 ،**تاريخ الجزائر العام** ،ج3، بيروت، دار الثقافة.
3- الفيروز أبادي،م،1999،**القاموس المحيط**. الطبعة الأولى، بيروت ،دار الكتب العلمية.
4- الزبيري ،م ،1973، جانفي- فيفري، **مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال ، مجلة الأصالة** ،العدد 12ص ص121-130.
5- الزبيري، م ، 1972، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري** ،الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
6- الماوردي،أ ،2006،**الأحكام السلطانية** ، القاهرة ،دار الحديث.
7- برشفيك. ر، 1988،**تاريخ افريقيا في العهد الحفصي من القرن 13م إلى القرن 15م** تر:حماد الساحلي،ط1، ج2، بيروت ،دار الغرب الإسلامي.
8- بن المناوي، ع،1990،**التوقيف على مهمات التعاريف**،تح،عبد الحميد صالح الحمدان،ط1،القاهرة، عالم الكتب.
9- بن ميمون الجزائري،م،1972، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية**، تق و تح مُحَّد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
**10-** بنور،ف،2008،**المخططات الفرنسية تجاه الجزائر(1782 –1830 )، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر.**
11- بوعزيز،ي،2009،**موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،دار الهدى ،عين مليلة– الجزائر ،ج3.**
12- بوعزيز ،ي ،1999 ،**مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
13- بونار ،ر ،2000، **المغرب العربي( تاريخه و ثقافته)** ط3، عين مليلة ( الجزائر) ،دار الهدى.
14- جبار ،ع،1990، **بنوحفص و القوة الصليبية في غرب البحر المتوسط، في القرنين 8-9 هـ (14-15م)** ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة.
15- حليمي، ع ، 1972، **مدينة الجزائر**، ط1 ، الجزائر.
16- زروال ،م ،1994، **العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1791-1830)** ،الجزائر ،مطبعة دحلب.
17- سعيدوني، ن ،1993،الأول من شهر جانفي ،**المعاهدة الجزائرية الإسبانية (1791م) مجلة الدراسات التاريخية**،المجلد 5،العدد1،ص ص 71-93.
18- سعيدوني، ن ، البوعبدلي،م،1984 ،**الجزائر في العهد العثماني**، ج3، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
19- سعيدوني، ن ،2000 ، **ورقات جزائرية** ، ط1، بيروت ،دار الغرب الإسلامي.
20- عباد ،ص ،2005 ،**الجزائر خلال الحكم التركي،1514-1830** ، الجزائر ،دار هومة للطباعة والنشر.
21- عمراني ،ن، 2013 الأول جوان،**القرصنة البحرية وتمييزها عن الأعمال المشابهة لها،مجلة البحوث والدراسات القانونية والسياسية**،مجلد 3،العدد 6،ص ص132-147.
22- عمورة ،ع ،2002 ،**موجز في تاريخ الجزائر** ،ط1 ، الجزائر، دار بجاية.
23- عميراوي ،أ،2005، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، عين مليلة ( الجزائر)،دار الهدى.
24- غطاس ع ،1985،**العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694)** ،رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،الجزائر.

25- فركوس ،ص ،2002 ،**المختصر في تاريخ الجزائر** ، عنابة ( الجزائر)، دار العلوم.
26- قرباش. ب ، 2016،**الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات ( 1671–1830 م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى أسطنبولي ،معسكر.
27- قنان ،ج ،1987 ، **معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619–1830)** ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
28- قنان ،ج ،1987 ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500–1830)**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة .
29- قنان ،ج ،1994، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر** ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
30- نايت بلقاسم، م ، 1985، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م** ، ط1 ،ج1 ، الجزائر ،دار البعث قسنطينة .
31- وولف ،ج ،1986، **الجزائر و أوروبا**، تر و تع أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

32- -Berjaud, (L), 1950 ,Boutin Agent Secret de Napoléon ler et précurseur de L'algerie française ,paris.
33- Boutin,(V ,Y,),1830, Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger, à L'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, paris.
34- 34- Brunot ,L , 1920,notes lexicologique sur le vocabulaire, paris, maritimes de rabat salé .
35- De Grammont , H , 1887, Histoire d'Alger sous la domination Turque, 1516-1830 ,Paris ,Ernest le Roux.
36- EdouardCat ,1888, petit Histoire d'Algérie ,tunise,maroc,jourdan.36 -
37- 37- Julien, Ch. A., 1931,Histoire de l'Afrique du Nord,paris.
38- 38- Julien ,(Ch,A), 1964,Histoire de l'Algérie Contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation1827-1871 , presse universitaire de France , paris.
39- Heinrich .h , 1898 ,l'alliance franco-algérienne an xvie siecle,lyon,imp mougin-rusand,
40- MEROUCHE .M, 2002 , Recherches sur l'Algérie a l'époque ottomane ,Monnaies Prise et Revenus 1520-1830 , Paris ,Editions Bouchene .
41- Moulay Belhmissi , 1983,Histoire de la marine Algérienne ,Alger ,E.N.A.L.
42- Nettement, (A),1867,histoire de la conquête d'Alger, écrite sur des documents inédits et authentique ,bibliothèque nationale de france,paris .
43- Rosset ,(C),1879, *la conquête d'Alger ,* écrite sur des documents inédits et authentique ,bibliothèque nationale de france,paris .